تأويلُ النصّ القرآني في كتابِ أساسِ التأويل عند القاضي النعمان

أ.د. عبّاس صادق عبد الصّاحب
كلّيّة التّربيّة الأساسيّة/ جامعة المثنّى

Interpretation of the Qur'anic text in the book The Basis of Interpretation according to Judge Al-Numan, the story of Moses as an example

Prof.Dr. Abbas Sadiq Abdel Sahib
College of Basic Education - Al-Muthanna University
Email: abbass.sadiq@mu.edu.iq

المقدّمة

هذا البحث يتناول تأويل قصّة موسى ﷺ في كتاب أساس التّأويل للقاضي النّعمان، وهو كتاب يحاول المؤلّف فيه أن يطبّق عقيدته الإسماعيليّة في تأويل النّصّ القرآنيّ ، والمؤلّف لا ينطلق من اللّغة في تأويله النّصّ القرآنيّ، وإن كان أحيانًا يستعين باللّغة بما يعزّز عقيدته الإسماعيليّة ، وكتاب أساس التّأويل يعدّ من أهمّ الكتب الإسماعيليّة الّتي عنيت بالنّصّ القرآنيّ ، وقد كان للمؤلّف وقفة في قصص النّبيّين ، وقد أفردنا هنا المجال لقصّة موسى ﷺ، وآمل أن أكمل بقيّة القصص الّتي تناولها المؤلّف في كتابه ، والله المعين والموفّق لكلّ خير.

التّأويل عند الغربيّين:

التّأويليّة Hermeneutique مشتقة من اليونانيّة Hermeneia أي فنّ التّأويل[١] ، وعند أرسطو التّأويل أن تقول شيئاً ما بخصوص شيء ما، وكلّ كلمة دالّة هي تأويل[٢] ، ويحدّد لالاند في موسوعته الهرمنيوطيقا بأنّها"... تفسير نصوص فلسفيّة أو دينيّة، وبنحو خاصّ الكتاب (شرح مقدّس) ، تقال هذه الكلمة خاصة على ما هو رمزيّ"[٣].

يفترق التّأويل عن التّفسير، فالثّاني : وظيفته التّوضيح، أمّا الأوّل : فوظيفته تحديد المعنى من وجهة دينيّة ، أو نفسيّة[٤]. و" التّأويل بوصفه صرفًا للمعنى الظّاهر إلى المعنى الباطن على نحو يجعل المعنى الباطن منسجمًا مع المعنى الظّاهر، تكمن وظيفته في معالجة مستوى معقّد من المعنى..."[٥].

(١) ينظر: الفلسفة والتّأويل، نبيهة قاره، دار الطّليعة، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ٥ .
(٢) ينظر: الفلسفة والتّأويل، ٧ .
(٣) موسوعة لالاند الفلسفيّة، أندريه لالاند، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط٢، ٢٠٠١، ١/ ٥٥٥ .
(٤) ينظر: عبد القّاهر الجرجانّي في النّقد العربّي الحديث دراسة في إشكاليّة التّأويل، محمّد عبد الرزّاق عبد الغفّار، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢، ١٨.
(٥) عبد القّاهر الجرجاني في النّقد العربّي، ١٨-١٩ .

العمليّة التّأويلية ضاربة في القدم، بل يمكن أن نقول إنّها قديمة قدم الإنسان، فالإنسان كائن مؤوّل، بل إنّ الحياة نفسها تأويل عند نيتشة[١] ، لكن الهرمنيوطيقا حديثة هدفها وضع القواعد لإقامة تأويل ذي مشروعيّة[٢]، ويعدّ الألمانّي فريدريك شلايرماخر مؤسّس الهرمنيوطيقا في عام١٨١٩م، فقد أراد منها أن تكون الإجراءات والمبادئ المستعملة في الوصول إلى معاني النّصوص المكتوبة بما في ذلك النّصوص : القانونيّة ، والتّعبيريّة ، والأدبيّة ، والدّينيّة[٣].

وقد بنى ديلثي تصوّره للتّأويل على أساس الفهم، والفهم عنده ليس نشاطًا لغويًّا، بل هو القدرة على النّفاذ إلى الحياة النّفسيّة للآخر، بمعنى أنّ الفهم يتّخذ منحى علم النّفس، وليس فلسفة اللّغة[٤].

لكن هيدجر حاول أن يخلّص الفهم من كلّ بعد نفسيّ، ويربطه بفلسفة اللّغة، بل جعل الفلسفة عبارة عن تأويل، وأصبحت الهرمنيوطيقا عنده بنية الوجود[٥]، ومن ثمّ عرّف الإنسان بأنّه الكائن الوحيد الّذي يمثّل الوجود قضيّته الكبرى، على الرّغم من أنّه يعترف بأنّ قضيّة الوجود تُنسى في خضمّ الحياة اليوميّة، الّتي تشغل الإنسان بتفصيلاتها المملّة[٦].

وإذا كان هيدجر يرى الزّمن محدّدًا للوجود الإنسانيّ، فإنّ ريكور يرى أنّ الزّمن لا يكون إنسانيًّا إلّا إذا وضع في حبكة سرديّة[٧]، فالذّات الإنسانيّة المنغلقة على نفسها، المحتجبة عنّا، تتجلّى لنا عبر السّرد. يقول:" ما نسمّيه الذّات ليس بالمعطى منذ البدء، وإذا أعطيت فهناك خطر أن تختزل إلى ذات نرجسيّة، أنانيّة، هزيلة، منها بالضّبط يستطيع أن يحرّرنا الأدب،

(١) ينظر: الفلسفة والتّأويل، ٥٢ .
(٢) ينظر: الفلسفة والتّأويل، ٤٣ .
(٣) ينظر: دليل النّاقد الأدبّي، د، ميجان الرّويلّي ود، سعد البازعيّ، المركز الثّقافّي العربّي، الدار البيضاء، المغرب، ط٥، ٢٠٠٧، ٨٩ .
(٤) ينظر: الفلسفة والتّأويل، ٩ .
(٥) ينظر: الفلسفة والتّأويل، ٩ .
(٦) ينظر: القراءات المتصارعة التّنوّع والمصداقيّة في التأويل، بول ب، آرمسترونغ، ترجمة وتقديم: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ٢٣٥ .
(٧) ينظر: الهويّة والسرّد، بول ريكور، حاتم الورفلّي، دار التّنوير، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ١٤٧.

وهكذا فإنّ ما نخسره على جانب النرجسيّة نستردّه على جانب السّرد"[١]، وبدلاً من هذه الذّات المفتونة بنفسها،" تظهر ذات تمليها الرّموز الثّقافيّة، وهي أوّل ما تقدّمه مرويات تراثنا الأدبيّ، إذ تعطينا هذه المرويات وحدة ليست جوهريّة ثابتة ولكنّها سرديّة"[٢].

وعلى هذا الأساس تأتي أهمّية السّرد في الخطاب القرآنيّ، فالسّرد وسيلة للكشف عن الحقائق الّتي لا يمكن إدراكها بشكل مباشر، وسيلة للنّفاذ إلى عالم غيبيّ لا يمكن التّعبير عنه إلّا عن طريق المجاز، وإلّا عن طريق الحكاية .

التّأويل عند القاضي النّعمان:

التّأويل عند القاضي النّعمان هو خليط من كلام الفلاسفة[٣]، وتطبيق لعقيدته الإسماعيليّة الّتي تقوم على أساس الاعتقاد بالإمامة، والإمامة عندهم تبيّن ما جاء به النّبيّ من وحي، فالنبيّ بحسب الإسماعيليّة هو الّذي جاء بالتّنزيل، والتّنزيل هو الظّاهر، أمّا الإمام فهو الّذي سيقوم ببيان هذا التّنزيل، والبيان هو التّأويل، يقول القاضي النّعمان:" يعني بالبيان وهو التّأويل الّذي به يثبت ظاهر التّنزيل، ويصبح في القلوب والعقول، وبه تثبت الحجة على من أنكر أحكام الشّريعة"[٤] .

وعلى النّاس أن تطلب علم التّأويل من الأئمّة الّذين نصّبهم النّبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، يقول القاضي:" ومن طلب التّأويل من قبل أوليائه الّذين نصّبهم له، وأودعهم علمه، وعَلِم منهم ما أفادوه إيّاه، ووحّد الله حقّ توحيده، ونفى عنه تشبيه المشبّهين، وعلم حقيقة ما تعبّد الله عزّ وجلّ به عباده، ممّا أحلّه لهم، وحرّمه عليهم، وعلم الصّحيح من السّقيم من الأخبار عن رسول الله وغير ذلك ممّا اختلف فيه النّاس؛ لأنّه يوضّح ذلك

(١) الوجود والزّمان والسّرد فلسفة بول ريكور، ترجمة وتقديم: سعيد الغانميّ، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ٥٥.
(٢) الوجود والزّمان، ٥٥ .
(٣) الملل والنّحل، أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم الشّهرستانيّ، قدّمه: صدقي جميل العطّار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ١٥٥ .
(٤) أساس التّأويل، تأليف: النّعمان بن حيّون التّميميّ المغربيّ(ت٣٦٣)، تحقيق وتقديم: عارف تامر، منشورات دار الثّقافة بيروت، ١٩٦٠، ٢٢٩.

ويبيّنه، وهو عِياره، وميزانه والشّاهد عليه، وله"[1]، " وبالإمكان جعل الحقائق الكامنة وراء الكتب والشّرائع المنزلة ظاهرة من خلال ما يسمّى بالتّأويل أي التّفسير الرّمزيّ، أو الباطنيّ الّذي أصبح علامة مميّزة للإسماعيليّة"[2]، وهذا التّأويل الباطنيّ يجب أن يكون مستورًا عن العامّة، فهو من حقّ الخواصّ فقط؛ لأنّ كشف هذا التّأويل قد يعرّض الخواصّ إلى الخطر والاضطهاد والقتل،" وفي هذا السّياق يكون الإسماعيليّون قد أعادوا تفسير مبدأ "التّقيّة" الشّيعيّ الإماميّ ليتضمّن التزامهم عدم كشف الباطن لأيّ شخص غير مأذون، إضافة إلى واجبهم بالتّخفّي والاستتار عندما يواجهون خطر الاضطهاد"[3]،

وعلى هذا الأساس يكون التّأويل عند القاضي النّعمان لا علاقة له باللّغة الّتي نعرفها ونتحدّثها' فهو تأويل باطنيّ، أو علم مستور كشفه الأئمّة، ولم يطّلع عليه غير الإسماعيليّين، وهو يكون عن طريق تأسيس لغة أخرى تحمل معاني مخصوصة غير المعاني المتداولة عند النّاس .

أهمّيّة قصّة موسى في القرآن الكريم:

تعدّ قصّة موسى ﷺ أكثر القصص حضورًا في القرآن الكريم، ولعلّ السّبب يعود إلى أنّ" عناية القرآن بقصّة موسى مرتبط إلى حدّ ما باليهود وما كان لهم من مواقف تجاه النّبيّ محمّد ورسالته، فقد كانوا من أكثر المعترضين على دعوته والتّصدّي له؛ لذلك كثّف القرآن من الحديث عنهم لبيان موقف نبيّهم منهم ، وكيف كان يُضرب بهم المثل في الحقد على الأنبياء"[4]، يقول القاضي النّعمان:" لمّا انقضى دور إبراهيم صلّى الله عليه وسلّم وكان خاتم دوره شعيب ﷺ أراد الله سبحانه وتعالى، بعث ناطق كما سبق في تدبير حكمته، وكان موسى صلوات الله عليه، وهو من بني إسرائيل الّذين صاروا من يعقوب إلى يوسف

(١) أساس التّأويل، ٢٣٠ .
(٢) الإسماعيليّون تاريخهم عقائدهم، فرهاد دفتريّ، دار السّاقي، بيروت، ط١، ٢٠١٢، ٢٢٨ .
(٣) الإسماعيليّون، ٢٢٨ .
(٤) عقائد الباطنيّة في الإمامة والفقه والتّأويل عند القاضي النّعمان، محمّد الهادي الطّاهري، الانتشار العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠١١، ٢٦٣.

بمصر، وكانوا قبلًا مع يعقوب في بلاد الشّام، ثمّ هاجروا معه إلى مصر، وكان موسى ممّن ولد بها، ونشأ فيها، وكان القبط يومئذٍ ملوكها، وفرعون صاحب أمرها، وكان لشعيب فيها داعٍ يدعو سرًّا إلى ما هو عليه خوفًا من فرعون أن يبدو ذلك في ملكه، ولضعف أمر شعيب... فأراد الله إظهار موسى فيها، وأيّده بكلمته، وبعثه بالسّيّف، والبيان، ومقاتلة فرعون مصر ، والاستظهار بكسر ما هو عليه من انتحال دعوته إلى دين الله الّذي بعث فيه موسى وأوحيت له الحكمة، والمنزلة، والتّأييد، والقوّة، لأنّه متوسّط النّطقاء ثلاثة منهم قبله، وهم آدم ونوح وإبراهيم... وثلاثة بعده، وهم عيسى ومحمّد وقائم القيامة من ولده (أي محمّد)"[1]، ولموسى عليه السلام منزلة كبيرة ؛ لأنّه يتوسّط النّطقاء، فهو مرحلة انتقال من زمان إلى زمان؛ لذلك كان حضوره في القرآن الكريم كبيرًا، وتشكيل قصّة موسى كما وردت في القرآن الكريم بالشّكل الآتي: لقد عمدت أمّ موسى إلى إلقاء رضيعها في اليمّ خوفًا عليه من القتل؛ لأنّ فرعون أمر بقتل كلّ مولود ذكر في بني إسرائيل خوفًا على ملكه، كما نصحه بذلك بعض مفسّري الأحلام، لكن الله شاء أن ينجو موسى بحيث دفع اليمّ الصندوق الّذي كان ينام فيه الرّضيع إلى قصر فرعون، فأخذته زوجته وهي امرأة مؤمنة بالله، وعرضت زوجة فرعون على زوجها أن تربّيه وتتّخذه ولدًا لها، فقبل فرعون ذلك، وبذلك نجا موسى من الموت بفضل تدبير الله ، ثمّ يكبر موسى ويقتل رجلًا من جنود فرعون، ويضطر إلى الهرب إلى مدين، فيلتقي بامرأتين تريدان السّقاية، فيسقي لهما، ثمّ تعود إحداهن إلى موسى تخبره بأنّ والدها يريد مكافأته، وهنا يتعرّف إلى شعيب النّبي، فيزوّجه إحدى ابنتيه، ويبقى موسى في مدين عشر سنين، ثمّ يعود إلى مصر، وفي الطّريق، يشاهد نارًا، فيأتي إليها فيكلّمه الله، ويأمره أن يتوجّه إلى فرعون لهدايته، فيطلب موسى من اللهّ أن يشدّ عضده بأخيه هارون ، ثمّ يكون هناك صراع بين فرعون وموسى، ينتهي هذا الصّراع بغرق فرعون وانتصار موسى ودين التّوحيد.

(١) أساس التّأويل ، ١٧٨-١٧٩.

تأويل الذّبح:

يقول تعالى: ﴿ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾[١].

يصرف القاضي النّعمان دلالتي الأبناء والأولاد إلى غير دلالتيهما اللّغويّتين المعروفتين عند النّاس ، يقول:" فالأبناء أمثال المستجيبين، والنّساء أمثال الدّعاة، الّذين ظاهروه بما ظاهروه به من القبول عنه، والدّعاء له، وكان موسى ﷺ ممّن استجاب لبعض دعاة شعيب الّذين كانوا بمصر تحت سلطان فرعون، يظهرون الدّعوة إليه، فلمّا رأى ذلك الدّاعي في موسى من القوّة والقبول ما رآه أطلعه على أمر شعيب، وأمر من قبله، وما جرى في أدوار الأنبياء، وكيف دارت النّبوّة فيهم"[٢]، فالأبناء عنده هم الّذين استجابوا لدعوة الدّعاة أي النّساء في الآية، والأبناء أي المستجيبون يُقتلون لأنّ أمرهم انكشف عند فرعون من أنّهم لا يتّبعون دينه ويتّبعون دين شعيب، أمّا الدّعاة وهم النّساء في الآية فهم لم ينكشف أمرهم؛ لأنّهم قد رُخّص لهم في أن يكتموا دينهم، ويوالوا فرعون في الظّاهر.

تأويل الإلقاء في اليمّ:

يقول تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[٣].

أوّل القاضي النّعمان النّساء في الآية السّابقة بالدّعاة، وهنا يستمرّ في تأويله، فأمّ موسى هي الدّاعي الّذي دعا موسى إلى دين شعيب بأمر من شعيب، يقول:" وأمّ موسى ههنا في الباطن الدّاعي الّذي دعاه، والوحي كان من صاحب الزّمان(أي شعيب) الّذي أمره بذلك، فنسب الوحي إليه، لما كان يتّصل به الأمر عنه"[٤]، فأمّ موسى عند النّعمان من الدّعاة السّرّيّين لنّبيّ الله شعيب.

(١) سورة القصص، الآية : ٤.
(٢) أساس التّأويل ، ١٨٠.
(٣) سورة القصص ، الآية : ٧.
(٤) اساس التّأويل ، ١٨٠.

تأويل التّابوت:

يقول تعالى:" إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ"[1].

يؤوّل القاضي النّعمان التّابوت بأنّه التّأييد والدّليل على صدق نبوّته، يقول:" والتّابوت يشتمل على ما فيه، وله بيان، وهو حدّ التّأييد وذلك قوله تعالى:﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[2]، وهنا القاضي يعود إلى آية أخرى ليستدلّ منها أنّ التّابوت هو التّأييد الإلهيّ لصدق الدّعوة.

تأويل السّقي:

يقول تعالى: ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾[3].

يؤوّل القاضي المرأتين هنا بالدّاعيين، ولكن هذان الدّاعيان غير مطلقين في دعوة النّاس، أمّا موسى فهو يمتلك حقّ الدّعوة بلا قيد ، يقول:" أي لا نفاتح أحدًا حتّى ينتهي هؤلاء الّذين استجابوا لهؤلاء الدّعاة إلى غاية ما يجب لهم، فنورد هؤلاء عليهم، حينئذٍ فيسقونهم أي يفاتحونهم ، وكان موسى مطلقًا في الدّعوة حيث توجّه "فسقى لهما" أي دعا من أتيا به وفاتحهم، وأطلعهم على أنّه أحد دعاة شعيب، وسأل المأذونين اللّذين سقى لهما ، أن يعرّفاه أمره، وقصد بابًا من أبوابه"[4].

تأويل النّكاح:

يقول تعالى:﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللهُ مِنَ

(١) سورة طه ، الآية : ٣٨-٣٩.
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٨.
(٣) سورة القصص ، الآية : ٢٣.
(٤) أساس التّأويل ن ١٨٨.

الصَّالِحِينَ ﴾،﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴾"[١].

يؤوّل القاضي النّكاح في الآية إلى اختيار شعيب موسى في أن يجعله نقيبًا له في دعوته إلى دين الله ، يقول: "يقول إني أريد أن أطلقك نقيباً، وأجعل إليك أمور دعوتي وذلك ما جاء في الحديث أنّه استأجره على رعاية غنمه، وذلك لما أطلعه الله عليه من حاله، وما أهله له من الرّسالة على أن تقيم لي ثمانية من النّقباء، وإن أتممتهم إلى عشرة، يكون ذلك فضل منك، لا شرط يلزمك"[٢].

تأويل النّار والطّور:

يقول تعالى:﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾[٣].

النّار عند القاضي النّعمان هي التّأييد الإلهيّ للنّاطق، ويقصد بالناطق هنا النّبيّ موسى، أمّا الطّور فهو الرّسالة نفسها، يقول القاضي النّعمان:" ومثل النّار مثل حدّ النّاطق من نور التّأييد، يقول أحسّ بنور التّأييد في نفسه، ومثل الطّور مثل مرتبة النّاطق، هي نفس الرّسالة"[٤].

تأويل العصا:

يقول تعالى:﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾[٥].

يؤوّل القاضي النّعمان العصا بالعلوم والأسرار الّتي اكتسبها النّبيّ ، يقول القاضي النّعمان:" فمثل العصي حدّه من الإمامة الّتي نالته من صاحب الزّمان الماضي أمره أن يلقيه على ما خصّ به بعد ذلك من العلوم، وصار ما ناله من إمام الزّمان شبيهًا بالعصي، وأمره بإقامة أساسه، فصارت العصا مثلًا له"[٦] ، فالعصا في الظّاهر تدلّ على رعي الأغنام، لكنّها

(١) سورة القصص ، الآية : ٢٧.
(٢)اساس التّأويل ن ١٨٩.
(٣) سورة القصص ، الآية : ٢٩.
(٤) أساس التّأويل ، ١٩١.
(٥) سورة القص ، الآية : ٣١.
(٦) أساس التّأويل ، ١٩٣.

في الباطن تدلّ على أمور معنويّة عظيمة ؛ لذلك كان الأنبياء يحملونها بأيديهم ، وفي ذلك يقول الجاحظ :" ومن يستطيع أن يدّعي الإحاطة بما فيها من مآرب موسى إلّا بالتّقريب وذكر ما خطر على البال؟! ، وقد كانت العصا لا تفارق يد سليمان بن داود في مقاماته وصلواته"[١] ، وكذلك سائر الأنبياء.

تأويل اليد:

يقول تعالى:﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾[٢].

يؤوّل القاضي النّعمان اليد بأنها اطّلاع النّبيّ على الأسرار، والقدرة على تأويل الظّاهر، يقول القاضي النّعمان:" "عنى باليد أساسه ، وصاحب سرّه ، يقول: أطلعه من جهة ظاهر شريعتك على سرّ ما أوتيت"[٣].

تأويل العضد:

يقول تعالى:﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾[٤].

ينظر القاضي النّعمان إلى موسى إلى أنّه يمثّل التّنزيل، أمّا التّأويل فيمثّله هارون، والتّأويل كما أسلفنا هو البيان عند القاضي النّعمان، يقول:" " يقول سنشدّ أمر ظاهرك بأخيك يعني بما معه من التّأويل، فلا يصلون إليكما بحجّة، ومعكما آياتُ الله، فأنتما ومن اتّبعكما على ذلك الغالبون"[٥].

(١) البيان والتّبيين. أبو عثمان بن بحر الجاحظ. تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون. دار الجيل. بيروت. د-ت ، ٣ / ٩٠.
(٢) سورة النّمل ، الآية : ١٢.
(٣) أساس التّأويل ، ١٩٤.
(٤) سورة القصص ، الآية :٣٥.
(٥) أساس التّأويل ، ١٩٦.

تأويل اليمّ:

يقول تعالى:﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾[1].

يؤوّل القاضي النّعمان اليمّ بأنّه الظّاهر الّذي لا يُعرف تأويله ، يقول:" واليمّ البحر وهو مثل الظّاهر، يقول ألقيناهم في اختلاف ظاهرهم، وحرمنا عليهم البيان، فأغرقناهم في فتنة ظاهرة"[2].

تأويل اليمين:

يقول تعالى:﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾[3].

يؤوّل القاضي اليمين في الآية الكريمة بالتّأويل الحقيقيّ ، يقول:" واليمين باطنها يلقي الشيء منه ، فباطن اليمين الأساس في وجه من وجوه التّأويل، وظاهرها مثل على النّاطق، فالقبض والبسط بباطنها، والانتفاع بجميع ما ينتفع به، بسلامة ظاهرها من الحوادث، ينصر باطنها، فالظّاهر على هذا الشّكل مفتقر للباطن وهو يؤيّده، ويشدّه، والباطن كذلك مستتر بالظّاهر كامن فيه، والظّاهر يدلّ عليه، ويشهد له، فقيل له(أي موسى) قل لأساسك أن يلقي إليهم من التّأويل الحقيقيّ "[4].

تأويل السّحرة:

يقول تعالى:﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾[5].

السّحرة عند القاضي هم الّذين يتأوّلون التّأويل الفاسد غير الصّحيح ، وهم الّذين يأتون بالمخاريف من الأمور الّتي تشبه الحقيقة ؛ لينتحلوا ما جاء به موسى من الحقّ ، وهؤلاء ظنّوا أنّهم الأقوى؛ لأنّهم تمكّنوا من خداع النّاس، وتمكين فرعون من رقاب

(١) سورة القصص، الآية : ٤٠.
(٢) أساس التّأويل ، ١٩٨.
(٣) سورة طه ، الآيات : ٦٩- ٧٠.
(٤) أساس التّأويل ، ٢١١.
(٥) سورة الشّعراء ، الآيات : ٤٦-٤٨.

العباد[١] ، ولمعرفة السّحرة بالتّأويل الفاسد فقد تمكّنوا من معرفة التّأويل الصّحيح الّذي جاء به موسى، والدّخول في دين موسى، لأنّه يمثّل الحقيقة، لا الأوهام الّتي أتقنوها لخداع النّاس، ونصرة فرعون، وفي ذلك يقول الله تعالى:﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾[٢].

تأويل خوف موسى:

يقول تعالى:﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾[٣].

لا يمكن لنا أن نتصوّر أنّ هذا الخوف الّذي صدر من موسى هو خوف شخصيّ على نفسه، وإنّما هو خوف على الدّين، وعلى النّاس الّذين أضلّهم فرعون ، يقول القاضي:" يقول تخايل له أنّ الّذي أتو به من مخاريفم يشبه الحقيقة، وخاف على أساس الغلبة"[٤] ، وهذا الكلام كلام الإمام عليّ نفسه حين ذكر الأنبياء واحدًا واحدًا، وذكر من بينهم موسى، قائلًا :" لم يوجسْ موسى ﷺ خيفة على نفسه، بل أشفق من غلبة الجهّال ودول الضّلال"[٥] ، والملاحظ أنّ القاضي النّعمان في كتابه أساس التّأويل ينزّه الأنبياء أتمّ التّنزيه، ويرفض الرّوايات الّتي تنسب إلى الأنبياء النّواقص والأخطاء، فالأنبياء ارفع من أن يقعوا في الاخطاء؛ لأنّهم معصومون، ويتّضح لنا من ذلك، أنّ التّأويل الإسماعيليّ توجّهه العقيدة وترسم له الآفاق[٦].

تأويل الحِطّة:

يقول تعالى:﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾[٧].

(١) ينظر: أساس التّأويل ، ٢٠٩و٢١٠.
(٢) سورة الشّعراء ، الآيات : ٤٦-٤٨.
(٣) سورة طه ، الآية : ٧٦.
(٤) أساس التّأويل ، ٢١١.
(٥) تصنيف نهج البلاغة، لبيب وجيه بيضون، منشورات مكتبة أسامة كرم ، دمشق، ط١، د-ت، ٧٦.
(٦) عقائد الباطنيّة ، ٢٧٣.
(٧) سورة البقرة، الآية : ٥٨.

يؤوّل القاضي النّعمان الحطّة في الآية الكريمة بأنّها مأخوذة من الانحطاط والاتّباع التّام، وليس من حطّ الذّنوب، يقول:" ومثل الباب الأساس كما ذكرنا من قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)" أنا مدينة العلم وعليّ بابها" فأمروا بإقامة الظّاهر والباطن والخضوع لأساس موسى وهو هارون في ذلك الوقت (وقولوا حطّة) قال: أهل الظّاهر معنى حطّة اي حطّ عنا ذنوبنا، ولو كان هذا القول يحطّ الذنوب لم يبقَ مذنب إلّا غفر له، بل هي كلمة تدلّ على الانحطاط والخضوع لحدود النّاطق، أي أقرّوا بمن في وقته من اللّواحق، ومن بعده من الأئمة في دور النّاطق نحطّ عنكم الذّنوب، وذلك قوله: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني العاملين يزيدهم ما وعدهم به من الثّواب بعد المغفرة"[1] ، وتأويل الباب والحِطّة هنا تطبيق لعقيدته الإسماعيليّة القائمة على أساس الانقياد التّام للإمام.

تأويل الظّلم:

يقول تعالى:﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[2].

ربّما يُحاول القاضي هنا أن يُلمّح إلى تاريخ الإسلام بعد النّبي(صلّى الله عليه وآله) في ترك أئمّة الحقّ الّذين نصّبهم النّبي، واتّباع سواهم ، يقول القاضي النّعمان:" فالظّلم كما قلنا في اللّغة هو وضع الشّيء في غير موضعه، يعني أنّهم بدّلوا اسم الإمامة، فوضعوا فيها غير أهلها، ووضعوا أهلها في غير موضعهم"[3] ، واضح ممّا سبق أنّ القاضي النّعمان يطبّق عقيدته الإسماعيليّة في فهم النّصّ القرآنيّ وتأويله، والعودة إلى اللّغة أحيانًا تكون بمقدار ما تعزّز اللّغة هذه العقيدة الإسماعيليّة المبنيّة على أساس وجود الإمام الّذي يكشف المستور الّذي ورثه أصحاب الدّعوة الإسماعيليّة، وهذا المستور لا يمكن كشفه لعامّة النّاس حفاظًا على أرواح المؤمنين بالعقيدة الإسماعيليّة.

(١) أساس التّأويل ، ٢٢٠.
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٥٩.
(٣) – اساس التّأويل ، ٢٢١.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. أساس التّأويل، النّعمان بن حيّون التّميميّ المغربيّ(ت٣٦٣)، تحقيق وتقديم: عارف تامر، منشورات دار الثّقافة بيروت، ١٩٦٠ .

٣. الإسماعيليّون تاريخهم عقائدهم، فرهاد دفتريّ، دار السّاقي، بيروت، ط١، ٢٠١٢ .

٤. الهويّة والسّرد، بول ريكور، حاتم الورفليّ، دار التّنوير، بيروت، ط١، ٢٠٠٩ .

٥. البيان والتّبيين، أبو عثمان بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السّلام محمّد هارون، دار الجيل، بيروت، د-ت .

٦. تصنيف نهج البلاغة، لبيب وجيه بيضون، منشورات مكتبة أسامة كرم، دمشق، ط١، د-ت .

٧. دليل النّاقد الأدبيّ، د، ميجان الرّويليّ ود، سعد البازعيّ، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدار البيضاء، المغرب، ط٥، ٢٠٠٧ .

٨. عبد القّاهر الجرجانيّ في النّقد العربيّ الحديث دراسة في إشكاليّة التّأويل، محمّد عبد الرزّاق عبد الغفّار، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢ .

٩. عقائد الباطنيّة في الإمامة والفقه والتّأويل عند القاضي النّعمان، محمّد الهادي الطّاهري، الانتشار العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠١١ .

١٠. الفلسفة والتّأويل، نبيهة قاره، دار الطّليعة، بيروت، ط١، ١٩٩٨ .

١١. القراءات المتصارعة التّنوّع والمصداقيّة في التأويل، بول ب، آرمسترونغ، ترجمة وتقديم: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩ .

١٢. الملل والنّحل، أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم الشّهرستانيّ، قدّمه: صدقي جميل العطّار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ص١٥٥.

١٣. موسوعة لالاند الفلسفيّة، أندريه لالاند، تعريب خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط٢، ٢٠٠١،

١٤. الوجود والزّمان والسّرد فلسفة بول ريكور، ترجمة وتقديم: سعيد الغانميّ، المركز الثّقافيّ العربيّ، الدّار البيضاء، بيروت، ط١، ١٩٩٩.

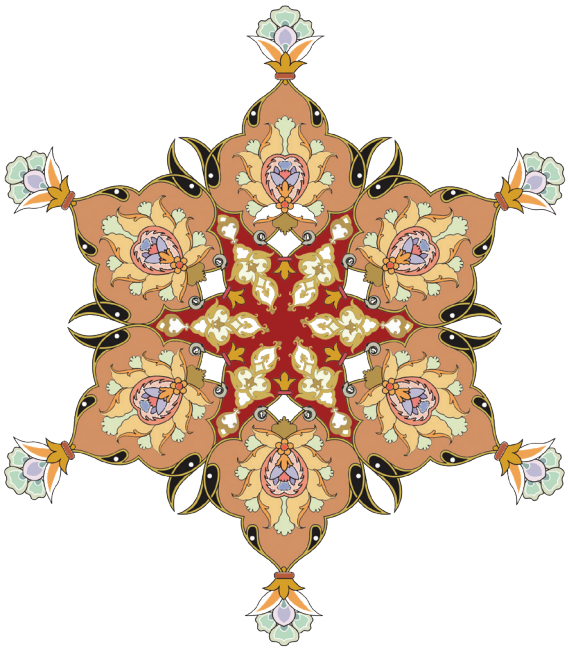

وقل رب زدني علما